تأثير القصة القرآنية في شعر العصر العباسي

المدرس الدكتور
محمد متعب موسى
Mohammed.m.mousa@alkutcollege.edu.iq
المدرس المساعد
مشعل حيال صباح
mashaal.haial@alkutcollege.edu.iq
كلية الكوت الجامعة

The Influence of the Qur'anic Story on the Abbasid Era

Lecturer Dr.
Muhammad Mut'ib Musa
Assistant Lecturer
Mish'al Heyyal Sabah
University College of Kut

الملخص:-

نوضح في هذا الدراسة تأثير القصة القرآنية في شعر العصر العباسي ولكن من دون توسع، فلقد تعددت أغراض القصة وفوائدها، وإن من أهمها بيان طريق الدعوة إلى الله وأصول الشريعة الإسلامية وتصديق الرسول الكريم ﷺ وإثبات الوحي والرسالة، فضلا عن تثبيت قلب الرسول الكريم عليه الف الصلاة والتسليم وصدق الانبياء السابقين وتخليد ذكرهم على مر العصور والسنين، ثم بيان أن جميع الأنبياء عليهم السلام يدعون إلى دين موحد، فضلا عن كل ذلك الكشف عن المعاني الأدبية أو البلاغية التي يقصدها القرآن الكريم.

الكلمات المفتاحية: القصة، القرآن، الادب، العصر العباسي، الشعر.

Abstract:-

In this study, we explain the influence of the Qur'anic story on the poetry of the Abbasid Era, but without expansion , as purposes and benefits of the story have multiplied, the most important of them are the path of Call to God and the origins of the Islamic Law and to believe the Holy Messenger (may God bless him and his family) and prove revelation and Message, as well as, the strengthening the heart of the Holy Messenger, and believe the previous prophets and perpetuate their memories along eras. Then to show that all the prophets (peace be upon them) call for a unified religion. In addition to revealing the literary and rhetorical meanings intended by the Holy Qur'an.

Keywords: Story, Quran, literature, Abbasid era, poetry.

مدخل:

ما يعنينا في هذه الدراسة من أثر القصة القرآنية في شعر العصر العباسي و ما تناوله الشعراء العباسيون من ملامح الأشخاص والأحداث وكيف كان في القرآن تعبيراً عن وقائع وأحداث تساق لغرض الهداية والإعتبار والتذكير والتثبيت على الحق وتلاها الناس قرآنا جليلا يشرح الصدور ويهدي إلى صراط مستقيم.

أولاً: قصة يوسف عليه السلام

وتأتي قصة النبي يوسف في مقدمة القصص في شعر العصر العباسي الثاني والتي سماها الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز (أحسن القصص)قائلا:- ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾(١). وقال أيضاً ﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ﴾(٢).

ويعود سبب ذلك لما تضمنته هذه القصة من (العبر والحكم والعجائب واللطائف..... وقيل سماها أحسن القصص لحسن مجازاة يوسف عليه السلام إخوته، وصبره على أذاهم، وإغضائه عند الإلتقاء بهم عن ذكر ما فعلوه ،وكرمه في العفو عنهم)(٣).

فهذا ابن الساعاتي يمدح صلاح الدين الأيوبي في قصيدة قائلاً: (٤)

فقلب القدس مسرور ولولا	سطاك لكان مكتئبا حزينا
أدرت على الفرنج وقد تلاقت	جموعهم عليك رحى طحونا
ففي بيسان لاقوا منك بؤسا	وفي صفد أتوك مصفدينا
لقد جردت عزما ناصريا	يحدث عن سناه طور سينا
فكنت كيوسف الصديق حقا	له هوت الكواكب ساجدينا
لقد أتعبت من طلب المعالى	وحاول أن يؤوس المسلمينا
وإن تك اخراً - وخلاك ذم -	فأن محمدا في الاخرينا

ويعود ابن الساعاتي في مدح صلاح الدين الايوبي ويذكر قصة النبي يوسف عليه السلام ليضيف للأبيات الشعرية رونقاً وابداع ليس له مثيل ويقوي أبياته الشعر من خلال

اقتباس هذه القصة.

ثانياً: قصة يوشع عليه السلام

وقد أفاد أبو تمام من شخصية النبي يوشع عليه السلام حينما رُدّت إليه الشمس[٥]، فيقول في مقدمة مدحه لأبي سعيد الثغري[٦]:

لَحِقْنا بأَخْرَاهُمْ وقَدْ حَوَّمَ الهَوَى ... قُلوباً عَهِدْنا طَيرَها وَهْيَ وُقَّعُ

فَرُدَّتْ علينا الشَّمْسُ واللَّيْلُ راغِمٌ ... بشمْسٍ لهم مِنْ جانبِ الخِدْرِ تَطلُعُ

نضَا ضَوْءُهَا صِبْغَ الدُّجنَّةِ فانطَوَى ... لِبَهْجتِها ثَوْبُ السماءِ المُجَزَّعُ

فَوَ اللهِ ما أَدْري أَأَحْلاَمُ نَائِمٍ ... أَلَمَّتْ بنا أَمْ كانَ في الرَّكبِ يُوشَعُ

أراد أبو تمام في هذه المقدمة الغزلية أن يضفي لمسات فنية لصورة قديمة موروثة متعارف عليها وهي تشبيه إشراق وجه الحبيب بالشمس فأعطى لهذا الإشراق بعدا دينيا من خلال توظيف ثقافته الدينية الواسعة والإفادة من القصص القرآني.

ثالثاً: قصة النبي نوح عليه السلام

ولقصةِ سيِّدنا نوحٍ عليه السلام حضورٌ في شعر بشّار، وذلك في قصيدةٍ لَهُ يتغزَّلُ فيها بإحدى حبيباته قائلاً[٧]:

حدَّثتني العُيُونَ عنْها فحالفْ ... ت المصلى أدعو إلهي مكبا

كدُعاء المَكْرُوبِ فِي لُجَّةِ البحْ ... رِ يُنادي الرَّحْمنَ رغْباً ورَهْبَا

فاسْتجاب الدَّعاءَ واسْتوْجب الشُّكْ ... ر إلهٌ قريب ازداد قربا

فأبياتُ الشاعرِ تُحيلُنا إلى قِصةِ نبي الله نوحٍ عليه السلام التي جاء ذكرٌ منها في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ * وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾[٨]، وربَّما أحالَنا النصُّ الشعريّ إلى قصةٍ أُخرى، هي قِصةُ سيِّدنا ذي النون عليه السلام الواردة في قولِه تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ

وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾[٩]، أو أنَّ النص مستوحى من قوله تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾[١٠]، والشاعرُ في هذه الأبيات قد تبتّل إلى ربِّه تبتُّلَ الصّالحين في حال الكَرَب، وهو بذلك يريدُ حال الإخلاص المُطلق التي يكون فيها المُتبتِّل، ودلَّنا الشاعرُ على الخلوص في الدُّعاء من قوله: **(لُجَّةِ الْبحْر)**، فهو سمةٌ أو علامةٌ على شدَّة الكَرَب الذي يخلُصُ فيها الدُّعاء، وقد أراد الشاعر من هذا الخلوص في الدُّعاء أنْ يَصِفَ شدَّة شغفه بمحبوبته وهيامه بها؛ ولهذا نقلنا في أبياته إلى شيءٍ من التصوُّف والتَّطهير، وذلك في قوله: **(يُنادي الرَّحْمنَ رغْباً ورَهْبَا)**، يريدُ بهذا التضرُّع والتوسُّل تحقيق عدم النأي عن حبيبته، فقرب الحبيبة كان هو المُراد، فاستعانَ الشاعرُ لتحقيق غايته بما استعانَ به الصّالحون لنيل ما يبتغون، وهو (الدُّعاء)، على الرَّغم من الفارق الكبير بين الغايتين.

ومن هنا فقد أفادَ الشاعرُ من هذه الآية أيّما إفادة؛ لما فيها من دورٍ موضوعيّ وعمقٍ دلاليّ، يؤديان إلى تحقيق غاياتٍ نفسيّة، ما يجعلُها تلقي بإيقاعها المطلوب[١١].

رابعاً: قصة النبي يونس عليه السلام

وقد وظف ابن الرومي شخصية النبي يونس - عليه السلام - في قوله:

قد بلى الله يونس بن بغاء	ببلاء النبي يونس قبله
يبلغ الحوت بعضه كل يوم	ليته يبلغ المسكين جمله[١٢]

فالشاعر هنا تمنى له بلاء يونس - عليه السلام - بل أشد بأن يبتلعه الحوت مرة واحدة فلا يرده إلى الشاطئ، وفي هذا يجعل الشاعر من قصة يونس خير معبر من الحنق والبغض الذي يكنه يونس بن بغاء، وهذا يتجانس مع النص القرآني، في قوله تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾[١٣]. إن الله حين أمر الحوت ليبتلع يونس أراد أن يعلمه الصبر على البلاء وهو ابتلاء تعليمي؛ لأن يونس- عليه السلام - أراد الفرار من الله حتى لا يضيق عليه، فابتلاه الله بأشد الضيق ضيق الموقف، وظلمته من خلال ظلمة البحر والليل وبطن الحوت؛ ورغم ذلك

البلاء فلقد أنجاه الله ليعلمه، أما الشاعر فأراد أكثر من خلال ذلك بأن يبتلى يونس بن بغاء بموت تعقبه ظلمات ثلاث لا ظلمة القرب وحدها.

خامساً: قصة النبي موسى عليه السلام

قال ابن عربي:-

لما تنزل نور الله خالقنا ... إلى الزجاجة والمصباح في المثل
نادى بنا ربنا من فوق ارقعة ... سبع يعرفني بأن ذلك لي
لما ابتغى رؤية منه الكليم وما ... زال الشهود له عينا ولم يزل
اجابه بشروط ليس يعرفها ... الا الذي عن وجود الحق لم يزل
ماخرً موسى لدك قام بالجبل ... بل خرً مما تجلى منه للجبل
ولم تكن صعقة الا لتخبره ... بما اختصه الرحمن في الازل[١٤]

فالشاعر ابن عربي يستشهد بأحداث هذه القصة ومنها طلب موسى رؤية الله تعالى، كما جاء في القرآن الكريم، فموسى عليه السلام ماخرّ لدك قام بالجبل بل انه خرّ مما تجلى للجبل وهو رؤية الباري جل في علاه.

وتدرج ذكر العصا في قصة سيدنا موسى عليه السلام من أداة يستخدمها الفرد العادي في إنجاز أعماله اليومية، مثل رعي الأغنام إلى دليل على الإقتدار الرباني الخارق الذي يمنحه الله سبحانه لعباده الصالحين، اذ يبطل بها سيدنا موسى سحر السحرة الدهاة، فيؤمنون بأن وراء ما يرونه شيئاً خطيراً عظيما يستحق الاذعان والطاعة وتتوالى معجزات العصا، اذ يتفجر بتأثير ضربتها للحجر الصلد الماء ليسقي قوم سيدنا موسى العطاش.

ثم ينطلق الشاعر الخباز البلدي[١٥] من الإشارة إلى اليد اليمنى ليجعلها مدخلا إلى النص الكريم لينهل من تراثه ما ينير نصه، فيقول:-

كأن يميني حين حاولت بسطها ... لتوديع الفي والهوى يذرف الدمعا
يمين ابن عمران وقد حاول العصا ... وقد جعلت تلك العصا حية تسعى
وقائلة هل تملك الصبر بعدهم ... فقلت لها لا والذي أخرج المرعى[١٦]

سادساً: قصة النبي سليمان عليه السلام

وقد أتاحت قصة سيدنا سليمان للشعراء مجالات واسعة للإفادة مما فيها من رموز ودلالات، إنها قصة القوة والسلطان الواسع المدعوم بإرادة ربانية جبارة هيأت معجزات خارقة لبشر- وان كان نبينا- تساعده على إدارة ملكه باقتدار لامثيل له.

من شخوص قصة سيدنا سليمان(الهدهد)، الذي خطر في أخيلة الشعراء من دلالاته مالم يخطر في بال المفسرين وعلماء الكلام والمنطق، الذين لم يروا فيه إلا انه جندي من جنود النبي سليمان يسير في النهج المرسوم له، في خدمة دعوة النبي وقهر الشرك والضلال.

وقف الثعالبي [١٧] عند قوله تعالى:- ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ * لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ * فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ * إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [١٨].

فأثاره موقف النبي الكريم من الهدهد حين تذكر موقف الأمير أبي الفضل الميكالي منه فقال[١٩]:-

يا سيداً بالمكرمات ارتدى	وانتعل العيوق والفرقدا
مالك تجري على مقتضى	مودة طال عليها المدى
إن غبت لم اطلب وهذا سليمـ	ـمان بن داود نبي الهدى
تفقد الطير على شغله	فقال مالي لا أرى الهدهدا

التقط الشاعر من موقف سيدنا سليمان عليه السلام من الهدهد دلالة الحزم وضبط الأمور وتفقد شؤون الرعية، فالنبي الكريم على الرغم من كثرة مشاغله وعظيم مسؤولياته يسأل عن طائر صغير لا يكاد يرى بين آلاف كثيرة من الطيور، بينما ينسى الأمير السؤال عن شاعر جمعته واياه (مودة طال عليها المدى)، انه عتاب رقيق من صديق أو تابع يبني أمالاً عريضة على سؤال صديقه أو سيده عنه.

ويتعمق أبو العلاء المعري في عالم قصة سيدنا سليمان عليه السلام مستعينا بفكره الثاقب، مستخلصاً منها العبر والدلالات، جاعلا منها أنوارا تنير دروب السالكين.

وقف عند المشهد الذي تعرض فيه الخيل الجياد على سيدنا سليمان، وألمح إلى ما أحدثته في نفس النبي الكريم من بهجة، فقال أبو العلاء وهو يرثي فقيها حنفيا[٢٠]:-

خلق الناس للبقاء، فضلّت	أمة يحسبوا لهم للنفاد
انما ينقلون من دار أعمالها	ل إلى دار شقوة، أو رشاد
مثل ما فاتت الصلاة سليما	ن فانحنى على رقاب الجياد
وهومن سخرت له الانس والج	نّ، بما صحّ من شهادة صاد

في هذه الابيات تحذير للإنسان من الدنيا واغرائها، ولعل فيها شيئا أكبر من النصح والإرشاد، هو الكشف عن حقيقة إنسانية أو خلق فطري هو حب الزينة والانشغال بها، وهذا أمر أشار إليه القرآن الكريم في غير هذا الموضع، فالنبي سليمان عليه السلام لم ينج من الانشغال بمغريات الدنيا و زينتها، وإن كان هذا لمدة وجيزة، وهومن آتاه الله سبحانه ذلك الملك الواسع والعزّ الوطيد وجعل كثيراً من الإنس والجن مسخرين لخدمته.

سابعاً: قصة النبي داود عليه السلام

أعان الباري جل في علاه داود عليه السلام على عمل الدروع من الحديد، ليحصن المقاتلة من الاعداء وأرشده إلى صنعتها وكيفيتها، وكان الله قد ألان له الحديد حتى كان يفتله بيده، لا يحتاج إلى نار ولا مطرقة، فكان اول من عمل الدروع من زرد، وانما كانت قبل ذلك من صفائح[٢١].

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ * أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[٢٢].

وقال أيضاً: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ * وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾[٢٣].

ومن هنا أخذ الشريف الرضي ما جاء في قوله تعالى وكان قد حضر ختان ابن القاضي التنوخي وقد نثرت دراهم على من حضر وزن كل درهم ثلاث حبات فقال[٢٤]:-

ودرهـــم واحـــد، فصـــلت جملتـــه ... مـــلأت منـــه نثـــارا قاعـــة الـــدار
لأن اللجـــين لكـــم في ضـــربه وكـــذا ... لأن الحـــديد لـــداود بـــلا نـــار
مـــا زلـــت اقلعـــه والارض تبلـــعه ... فلـــو علمـــت بـــه طوّلـــت اظفـــاري

وهناك قصائد أخرى تتناول هذه الموضوعات نفسها من قصة النبي داود تأثر بها الشعراء في شعرهم كمهيار الديلمي[٢٥].

ثامناً: قصة النبي إبراهيم عليه السلام

كان لبعض شعراء العصر العباسي شغف بدلالة النار التي كانت برداً وسلاما على نبي الله ابراهيم الخليل (عليه سلام الله)، اذ أراد قومه الانتقام منه بعد أن قام بتحطيم أصنامهم التي لا تضر ولا تنفع فعزموا على إحراقه بنار عظيمة أوقدوها والقوه فيها، فنجاه الله منها وجعلها برداً وسلاماً عليه إذ وصفها الباري بقوله: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ، قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾[٢٦].

قال ابن حيوس يمدح أمير الجيوش[٢٧]:-

يـــا ســـيف مـــن عصـــيانه وولاؤه ... جعـــلا شـــقيا في الـــورى وســـعيدا
خـــل العـــدو فقـــد غـــدا أنجـــادهم ... لم يضـــمروا لمهنـــد تجريـــدا
مـــلأت وقائعـــك القلـــوب مخافـــة ... ضـــاقت بهـــا عـــن أن تجـــن حـــقودا
ورفعـــت نـــاراً كلـــما أوقـــدتها ... زادت بهـــا نـــار العـــدو خـــمودا
هـــي نـــار ابـــراهيم للبـــاغي النـــدى ... لكـــن علـــى البـــاغي تشـــب وقـــودا
ولـــوا ولـــو أوغلـــت تطلـــب إثـــرهم ... لم يحـــم ملـــك الـــروم مـــنك طريـــدا

فجعل النار التي أوقدها ضد الروم الغزاة كالنار التي غدت برداً وسلاماً لجيش المسلمين لكنها وقود تشب على الباغي فكلما أوقد الباغون ناراً للحرب اطفأها الله وجعلها برداً وسلاماً مثلما جعلها على خليله ابراهيم.

ويعد النبي ابراهيم عليه السلام من أكثر الانبياء ذكراً في القرآن الكريم بعد النبي موسى عليه السلام، ويعد من أفضل أولي العزم من الرسل بعد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

وكان تأثير قصة النبي ابراهيم كثيراً لدى شعراء العصر العباسي اذ اتخذوا من قصته رموزاً ترجموها في أشعارهم، فدعاء ابراهيم عليه السلام للبيت الحرام بالخير والبركة حينما ترك ابنه اسماعيل وأمه هاجر في مكةّ (ثم قفى ابراهيم منطلقا فتبعته ام اسماعيل، فقالت: يا ابراهيم اين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس به انس ولا شيء فقالت له ذلك مرارا وجعل لا يلتفت اليها، أ الله أمرك بهذا؟ قال نعم، قالت:-اذا لا يضيعنا، ثم رجعت فانطلق ابراهيم حتى اذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات، ورفع يديه)[٢٨]. فقال:- (رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ)[٢٩].

يقف الخباز البلدي عند الإشارة إلى الوادي الموصوف في الآية الكريمة مستفيداً من دلالته في وصف مواقف مرّت به فيقول[٣٠]:-

ألا ان اخـــواني الـــذين عهـــدتهم ... أفـــاعي رمـــال لا تقصـــر في لســـعي

ظننـــت بـــهم خـــيراً فلمـــا بلـــوتهم ... نزلـــت بـــواد منـــهم غـــير ذي زرع

فهو قد جرب إخوانه الذين قد ظن بهم خيراً فلم يجدهم الا افاعي رمال لا تكف عن لسعه، حينما أيقن أن الملاذ الذي كان يظن به خيراً مخيب للآمال، أرض بوار تشبه الوادي الأجرد الذي ترك فيه سيدنا ابراهيم ابنه وزوجه.

تاسعاً: قصة هاروت وماروت

ومن الرموز الأخرى التي أشار اليها شعراء العصر العباسي هاروت وماروت الملكين اللذين كانا يعلمان الناس السحر وافتراء الشياطين اذ ينسبان ذلك إلى ما كان من علم النبي سليمان عليه السلام واستخلص الشعراء من تلك القصة ربط فتنة الأحباب وحسنهم الخلاب ولاسيما قوة أخذ القلوب بجمال العيون، وما تثيره في النفوس من الاعجاب، مشبهين فتنتها بالسحر، الذي تعلمه السحرة من هاروت وماروت، فالشاعر إذا ما أراد أن يعبر عن قوة أخذ الحبيب يذهب إلى أنه قد تعلم ذلك السحر، أو قد يكمن في تلك العيون ذلك السحر، أو قد يكتفي بعضهم بذكر هاروت وماروت أو قد يذكر أحدهما فيكون رمزاً لسحر حبيبه أو سحر عينيه خاصة[٣١].

قال ابن القيسراني يمدح الوزير جمال الدين[٣٢]:-

لمن القوام السمهري، سنانه ... ما أرهفت من لحظها أجفانه
ان كان نازعك الهوى انكاره ... فمن الذي بعث الجوى عرفانه
ظبي صوارم مقلتيه أسنة ... فبناظريه ضرابه وطعانه
لهج بكأس جفونه فقوامه ... أبدا نزيف رحيقها سكرانه
كلفت سلافة خده عن صدغه ... ألا يفارق وردها ريحانه
وبنفسي الرشا المترجم طرفه ... عن بابل هاروتها إنسانه

وقال الطغرائي [٣٣]:-

أما الزمان ففي تنبيهه عظة ... لولا الغشاوة في أجفان مسبوت
عصراه قد حذرا تأكيد سحرهما ... كما سمعت (بهاروت وماروت)

وقال أبو العلاء مخاطبا القاضي التنوخي، وكان قد حمل إليه، وهو ببغداد جزءاً من اشعار تنوخ في الجاهلية، مما كان جمعه أبو علي والده، فتركه أبو العلاء عند أبي أحمد عبد السلام بن الحسن البصري، وسأله رده إلى أبي القاسم، وسارعن بغداد فخشي أن يكون جرت غفلة في أمر الكتاب[٣٤]:-

هات الحديث عن الزوراء أوهيتا ... وموقد النار، لا تكرى بتكريتا
حتى أتت وكأن الله قال لها: ... حوطي المالك تمكينا وتثبيتا
نكست قرطيك تعذيبا وما سحرا ... أخلت قرطيك هاروتا وماروتا
لوقلت ما قاله فرعون❖ مفتريا ... لخفت أن تنصبي، في الارض طاغوتا

ويبدو مما تقدم الأثر الكبير للقصص القرآني في شعر العصر العباسي، إذ تناول الشعراء قصص القرآن بأساليب مختلفة ولأغراض متعددة يأتي في طليعتها الغرض الديني الوعظي، ولقد شاع أن ينتقي الشاعر من القصة القرآنية رمزاً، أو لمحة يشير إليها، ولم يخض الشعراء في تفاصيل القصص القرآنية لعلمهم بأن المتلقين يعرفون تفاصيلها، ويبدو أن الشعراء كانوا مطمئنين إلى أن الشعر الحق لا يميل إلى الشرح والتفصيل ويفضل الإيماء والرمز والإشارة والتلميح.

هوامش البحث

(١) سورة يوسف؛الآية،٣.

(٢) سورة يوسف؛ الآية،٧.

(٣) قصص القرآن، ابن اسحاق احمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي(ت ٤٢٧هـ)،مطبعة عاطف، مصر،(د.ت)، ص٦٣.

(٤) ديوان ابن الساعاتي، بهاء الدين أبي الحسن الخراساني، تحقيق: أنيس المقدسي، المطبعة الامريكانية، بيروت، ١٩٣٨م، ج١، ص٤٠٨.

(٥) ويوشع هو ابن أخت موسى عليه السلام وقد بعثه موسى لقتال الجبارين يوم الجمعة وما كاد أن يفتحها حتى قاربت الشمس على المغيب فخاف أن تغيب ويدخل يوم السبت وهو يوم محرم فيه القتال على بني إسرائيل فدعا يوشع ربه أن تبقى الشمس حتى ينتهي من القتال فاستجاب له ربه وحبس له الشمس، ابن كثير، قصص الانبياء، دار الطباعة والنشر الإسلامية، ط٥،ص٥٣٤ .

(٦) ديوان أبي تمام، تحقيق: محمد عبد عزة، دار المعارف، ط٤،ج ٢، ص٣١٩-٣٢٠.

(٧) ديوان بشار بن برد، تحقيق: محمد طاهر بن عاشور، الشركة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٧٦، ج١، ص٣٩٣.

(٨) سورة الصافات؛ الآية، ٧٥-٧٦.

(٩) سورة الأنبياء؛ الآية، ٨٧-٨٨.

(١٠) سورة لقمان؛ الآية، ٣٢.

(١١) القصص في ظلال القرآن الكريم، د. حنان عدنان الشعار، ٢٠٠٩م(،د.ط) ص ٩.

(١٢) ديوان ابن الرومي، علي بن العباس بن جريج ابن الرومي، تحقيق: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢م،ص ١٩٥.

(١٣) سورة الأنبياء؛ الآية، ٨٧ - ٨٨.

(١٤) ديوان ابن عربي شرحه: احمد حسن بسج، ط٢، بيروت،٢٠٠٢ م، ص ٤١٢-٤١٣.

❖ الأزل: القدم. ولا يوصف بالأزلية غير الله تعالى.

❖ وردت في الاصل (صعصقته) والصواب ما أثبتناه

(١٥) هو أبو بكر محمد بن أحمد بن حمدان، من بلدة يقال لها((بلد))من بلاد الجزيرة التي فيها الموصل، وأبو بكر من شعرائها، كان أمياً وشعره كله ملح وتحف وغرر وطرف، كان حافظا للقرآن مقتبسا منه في شعره. الوافي بالوفيات، صلاح الدين الصفدي، تحقيق: جلال الاسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ج٢، ص٤٣.

(١٦) شعر الخباز البلدي، جمع وتحقيق: صبيح رديف، ط١، مطبعة الجامعة، بغداد، ١٩٧٣م،ص٣٤.

(١٧) الثعالبي هو الشيخ أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري، له كتب كثيرة مثل (يتيمة الدهر) و(فقه اللغة) و(سحر البلاغة)و(اللطائف) و(المعارف) وغيرها، جاحظ نيسابور، لم تر العيون مثله كما قال الباخرزي عنه، من شعراء الدمية توفي سنة (٤٢٩هـ)، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، بن خلكان، تحقيق: يوسف علي و مريم قاسم، دار الكتب العلمية، بيروت ج١، ص٢٩٠.

(١٨) سورة النمل؛الآية،٢٠-٢٣.

(١٩) ديوان الثعالبي، دراسة وتحقيق: د. محمود عبد الله الجادر،ط١، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٩٠م، ص٥٢.

(٢٠) سقط الزند،ابو العلاء المعري، دار صادر، بيروت، ١٩٨٠م، ص٧-١٠.

(٢١) قصص الانبياء، اسماعيل بن كثير، تحقيق: الشيخ محمد بيومي وآخرين، مكتبة الايمان المنصورة،٢٠٠٦م، ص٢٩٧.

(٢٢) سورة سبأ؛ الآية،١١،١٠.

(٢٣) سورة الأنبياء؛ الآية،٧٩-٨٠.

(٢٤) ديوان الشريف الرضي، محمد بن الحسين بن موسى، أبو الحسن، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٥م، ص١٦٨.

(٢٥) ينظر ديوان مهيار الديلمي،ط١،مطبعة دار الكتب المصرية، بالقاهرة، ١٩٢٥م، ج١، ص٣٢٧.

(٢٦) سورة الأنبياء؛ الآيتان،٦٨-٦٩.

(٢٧) ديوان ابن حيوس، تحقيق: خليل مردم بك، المجمع العلمي العربي، دمشق، ١٩٥١م، ج١، ص١٦٦-١٦٧ وامير الجيوش هو أنوشتكين الدزبري قائد عسكري فاطمي من أصل تركي توفي ١٠٤٢م النبي، سير أعلام النبلاء، الذهبي، دار الكتاب، بيروت، ط٢٣،ج١٧،ص٥١٢.

(٢٨) قصص الانبياء، ابن كثير، مصدر سابق، ص٩٨.

(٢٩) سورة ابراهيم؛ الآية،٣٧..

(٣٠) شعر الخباز البلدي، مصدر سابق، ص٣٤.

(٣١) فاعليه التعبير القرآني في الشعر المحدث العباسي، عبد الله الحذيفي، اطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية الآداب- الجامعة المستنصرية، ١٩٩٩م، ص٣٩٦.

(٣٢) شعر ابن القيسراني، جمع وتحقيق ودراسة د. عادل جابر صالح، الأردن- الزرقاء،١٩٩١م ،ص٣٩٥، وجمال الدين ابو الحسن علي بن يوسف القفطي ولد ٥٦٨هـ وتوفي ٦٤٦هـ تقلد عدة مناصب منها الوزارة في أيام الملك العزيز سنة ٦٣٣ه منهج القفطي في كتابه (تاريخ الحكماء، محمد حامد اسماعيل، جامعة الموصل- كلية الآداب، العدد: ع٢٣، ص٣٧٥.

❖ الرشا: الظبي اذا قوي وتحرك ومشى مع امه.

❖ بابل: موضع بالعراق ينسب إليه السحر.

هاروت: ملك كان هو وماروت في بابل، اشتهر بمعرفة السحر، وضرب بها المثل فيه، وقد ورد خبرهما في سورة البقرة: الآية (١٠٢).

(٣٣) ديوان الطغرائي، تحقيق: علي جواد الطاهر، مطابع الرسالة، دار القلم، الكويت، ١٩٦٣م، ص٣.

(٣٤) سقط الزند، لأبي العلاء المعري، مصدر سابق، ص١٧١-١٧٣.

❖ أراد دعوى فرعون الربوبية، الطاغوت: المجاوز حده

قائمة المصادر والمراجع

١- ديوان ابن حيوس، تحقيق: خليل مردم بك، المجمع العلمي العربي، دمشق،١٩٥١م.

٢- ديوان ابن الرومي، علي بن العباس بن جريج ابن الرومي، المحقق: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢م.

٣- ديوان ابن الساعاتي، بهاء الدين أبي الحسن الخراساني، تحـ: أنيس المقدسي، المطبعة الاميركانية، بيروت، ١٩٣٨م.

٤- ديوان ابن عربي شرحه: احمد حسن بسج، ط٢، بيروت، ٢٠٠٢م.

٥- ديوان أبي تمام، تحقيق: محمد عبد عزة، دار المعارف، ط٤.

٦- ديوان بشار بن برد، تحقيق: محمد طاهر بن عاشور، الشركة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٧٦.

٧- ديوان الثعالبي، دراسة وتحقيق: د. محمود عبد الله الجادر، ط١، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٩٠م.

٨- ديوان الشريف الرضي، محمد بن الحسين بن موسى، أبو الحسن، دار الجيل،(د.ت).

٩- ديوان الطغرائي، تحـ: علي جواد الطاهر، مطابع الرسالة، دار القلم، الكويت، ١٩٦٣م.

١٠- ديوان مهيار الديلمي، ط١، مطبعة دار الكتب المصرية، بالقاهرة، ١٩٢٥م.

١١- سقط الزند، ابو العلاء المعري، دار صادر، بيروت، ١٩٨٠م.

١٢-سير أعلام النبلاء، الذهبي، دار الكتاب، بيروت، ط٢٣، ج١٧.

١٣-شعر ابن القيسراني، جمع وتحقيق ودراسة د. عادل جابر صالح، الأردن- الزرقاء، ١٩٩١م.

١٤-شعر الخباز البلدي، جمع وتحقيق: صبيح رديف، ط١، مطبعة الجامعة، بغداد، ١٩٧٣م.

١٥-فاعليه التعبير القرآني في الشعر المحدث العباسي، عبد الله الحذيفي، اطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية الآداب- الجامعة المستنصرية، ١٩٩٩م.

١٦-قصص الانبياء، اسماعيل بن كثير، تحقيق: الشيخ محمد بيومي وآخرين، مكتبة الايمان المنصورة، ٢٠٠٦م.

١٧- قصص القرآن، ابن اسحاق احمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي(ت٤٢٧هـ)، مطبعة عاطف، مصر،(د.ت).

١٨- القصص في ظلال القرآن الكريم، د.حنان عدنان الشعار،٢٠٠٩م(،د.ط).

١٩-وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، بن خلكان، تحقيق: يوسف علي ومريم قاسم، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٠- الوافي بالوفيات، صلاح الدين الصفدي، تحقيق: جلال الاسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت.